

سواء فى بدلولها السلالى ، أو فىما هو أكثر من ذلك .



اليهود فى بلاد العرب

وعلى كل حال ، فلو كانت هذه النظرية صحيحة ، لما كان هناك تعارض دينى بين العرب واليهود فى وقت البعثة المحمدية ، لأنه بين حياة النبى محمد ، وبين حياة النبى إسماعيل، حسب قول ابن هشام ، الذى يستقيه من الكتب الدينيه - وفى الغالب أنها كتب تستقى من التوراة اليهودية - رغم أن كتبتها من المسلمين ، تسعة وعشرون جيلا ، أى نحو ٥٨٠ سنة ، ولا نحسب أن هذه السنين يمكن أن تغير دين إسماعيل وأبيه إبراهيم فى شبه الجزيرة العربية إلى ما كان عليه دين العرب وقت البعثة المحمدية من وثنية مطلقة .

ولقد انطلق اليهود بعد تدمير الهيكل فى أورشليم إلى جهات متفرقة ، ومنها شبه الجزيرة العربية ، وكان ذلك بعد سنة سبعين ميلادية ، واستوطنوا اليمن فى عهد الدولة الحميرية الثانية ، واعتنق ملكها أسعد ابن كرب (٣٨٥ - ٤٢٠ م) اليهودية ، ودعا أهل اليمن إلى اعتناقها . ولكن نجران اعتنقت المسيحية حوالى سنة ٥٠٠ م ، وبدأت

اليهودية والمسيحية تتصارعان على السلطة فى شبه الجزيرة العربية ، وتولى يوسف نو نواس أمر نجران ، وكان يهوديا متعصبا فقتل المسيحين وأحرقهم بالنار ، وصوّر القرآن هذا الحدث فقال : « قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (١) »

وفى الحجاز ، احتل اليهود أخصب الأراضى ، وخاصة فى يثرب وخيبر ، وتحدثوا العربية وتسموا بأسماء عربية ، وظهر منهم شعراء عرب مثل السمؤل بن عاديا ، وكعب بن الأشرف .

واشتهرت منهم قبائل ثلاث ، عرفت بعدائها للنبي والمسلمين وهى : بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير . وهؤلاء هادنوا قبيلتى الأوس والخزرج العربيتين ، ثم انقلبوا عليهما وحرّضوا الأوس على الخزرج ، ثم تصالح الأوس والخزرج ، وفى هذا الوقت هاجر الرسول إلى يثرب .

* * *

(١) سورة البروج الآية (٤ - ٧)

ظهور المسألة اليهودية

وضع اليهود نصب أعينهم ، كمجموعة متحدة المصلحة ، أن يسيطروا على أخصب أراضى يثرب ، وينشروا شبكتهم التجارية على الجزيرة العربية . وكانت حنكتهم التجارية تتحدى عظمة قريش التجارية ، ومن ثم كانت أمانى اليهود أن تتحول أنظار العرب عن مكة التى تستقطبهم بكعبتها ، إلى يثرب مدينتهم . وكان اليهود يتيهون على قريش دينيا ، فقد كانت قريش عبدة أصنام ، أما اليهود فكانوا موحدين .

وعندما دخلت المسيحية الجزيرة العربية هددت سيطرة وتفوق اليهود الدينى ، وبدأ نزاع مرير قتال بين الديانتين ، ثم ظهر الإسلام فتصدت له الديانتان معا ، حتى أنه لشدة مقاومتهما للإسلام وللمسلمين ، نزل قول الله « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »^(١) .

وتصدى اليهود للدعوة ، اتهموا الإسلام بأنه مأخوذ ، نصأ وروحا ، من اليهودية^(٢) ، وأن الشريعة المحمدية هى الشريعة

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٢) أنظر كتاب موسى والتوحيد لسيجموند فرويد ، ترجمة الدكتور عبد المنعم

الموسوية ، ونزلت الآية « سيقول السفهاء من الناس ، ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس »^(١) ، ومعنى « أمة وسطا » أمة معتدلة ، لا تنكر الأنبياء ، ولا شريعة موسى ولا عيسى ، حيث يقول القرآن « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »^(٢) .

وقابل اليهود هذا الدين بالسخرية ، وبالوقية بين المهاجرين والأنصار ، وأيدوا قريشاً على محمد ، وقام شعراء اليهود يرثون قتلى قريش في غزوة بدر ، ويؤلبون قريش على المسلمين ، ويثيرون حفيظتهم ضدهم ، حتى أنشد شاعر اليهود ، كعب بن الأشرف ، القصائد في هجو المسلمين وحض القرشيين على الأخذ بالثأر ، وتمادى حتى جرى على أن يفعل فعلته في المدينة نفسها ، وفي حضور المسلمين ، وأغضب عمله الرسول فقال قولته « من لى بابن الأشرف ؟ » فما هي

(١) سورة البقرة الآية ١٤٢ و ١٤٣

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

إلا أيام حتى دفع كعب حياته ثمناً لقصائده ، وقتله الأنصار من قبيلة الأوس^(١) .

* * *

بنو قينقاع

كانت قبيلة بنى قينقاع تسيطر على شمال الحجاز ، وكانت أول قبيلة يهودية تبدأ الصراع مع الرسول ، إذ كان الرسول قد جعل بينه وبينهم أماناً ، وشرط عليهم شروطاً فنقضوا العهد^(٢) ، ونزلت الآيات تخاطب الرسول « وإمّا تخافن من قوم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » (الأنفال ٥٨) ، فجمعهم الرسول في سوق بنى قينقاع وقال « يامعشر اليهود ، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل موقعه قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أنى رسول الله ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم » ، فقالوا « يا محمد ، لا يفرنك من لقيت ، إنك قهرت قوماً أغماراً ، وإنا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا »^(٣)

ثم حدث ما أثار غضب الرسول على بنى قينقاع ، فكان هذا

(١) الخربوطلى ص ٣٧

(٢) ابن سعد كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٦٨

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٦

الحدث شرارة الحرب ، فقد قَدِمَتِ امرأةٌ تبيع أشياء لها في سوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ ، فجعلوا يريديونها على كشف وجهها فأنبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمقه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوتها فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ، فحاصروهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه ^(١) ، الذى تضمن أن تكون أموالهم غنيمة له ^(٢) ، وتكون النساء والزرية لهم ، ثم أخلى سبيلهم بعد أن شفع فيهم عبد الله بن أبى ، وأمرهم بالجلءاء عن المدينة ، فساروا صوب شمال الحجاز حتى نزلوا بأذرعات بأطراف الشام قبل الحجاز .

* * *

بنو النضير

فرح اليهود لهزيمة المسلمين فى أحد ، فجعلوا يغدرون بالمسلمين ، وقتلوا أربعة من رُسُلِ رسول الله إلى مدينتى عضل والقارة ، عندما

(١) ابن هشام ص ٤٢٧ ج ٢ ، وإرفنج : حياة محمد ص ١٥٨ ترجمة الخربوطلى .
(٢) الخربوطلى .

مر هؤلاء بمنطقة الرجيع من أرض اليهود في طريقهم إلى المدينتين السابقتين^(١). ثم تكررت الحادثة عند بئر مؤتة ، عندما هاجموا الأربعين من قرأء المسلمين الذين كانوا في طريقهم إلى نجد ، وقتلهم إلا واحداً هرب إلى المدينة ، وفي طريقه إليها التقى بيهوديين غير مسلحين ، فقتلها ظناً منه أنهما من بني النضير . وكان اليهوديان من بني عامر ، فطلبت بنو عامر الدية ، فأمر الرسول بأن تدفع بنو النضير لبني عامر ، وهم يهود أيضاً ، دية الرجلين ، وتوجه الرسول إلى اجتماع ببني النضير ، يصحبه أبو بكر وعمر وعليّ وبعض من المسلمين ، وجلس الرسول إلى جنب جدار من بيوت بني النضير ، في انتظار أن يأتوه بالمال ، ولكن بني النضير كانوا قد اتفقوا على أن يقوم واحد منهم بإلقاء حجر على الرسول من سطح المنزل الذي يجلس أسفله ، فيقتله .

وأثارت المؤامرة غضب الرسول على بني النضير ، فطلب إليهم الجلاء عن المدينة ، وحاصروهم حتى طلبوا الصلح والرحيل ، وهاجر معظمهم إلى مدينة خيبر اليهودية الحصينة ، علي مسيرة أيام من المدينة .

* * *

(١) الخربوطلى ص ٤٠ والبيهقي ج ٢ ص ٣٨

بنو قريظة

ولم يبق في المدينة ، بعد جلاء بني النضير ، سوى بني قريظة ، وهؤلاء نقضوا عهدهم مع الرسول بتحالفهم مع المشركين في غزوة الأحزاب أو الخندق ^(١) ، وأسقط في يد الرسول ، فقد كان عليه أن يصد القرشيين وحلفاءهم عن عبور الخندق ، وأن يتجنب هجوم بني قريظة في المدينة ، واحتال حتى جلت قريش عن الخندق ، فالتفت الرسول إلى بني قريظة ، وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه .

* * *

يهود خيبر

كانت خيبر شديدة الثراء ، وكان لليهود فيها حصون ، لجأ إليها اليهود المهاجرون من المدينة ، وجرّد لهم الرسول جيشاً وفتح خيبر ، واتفق مع يهودها أن يبقوا في أرضهم يزرعونها مناصفة ، النصف للمسلمين ، والنصف لليهود . وسمع يهود « اللدك » بمعاملة الرسول الحسنة لليهود خيبر ، فطلبوا صلحاً مثل صلح خيبر .

* * *

(١) الخريوطي ص ٤٢ واليعقوبي ج ٢ ص ٣٩